شعر الصعاليك والبعد الاجتماعي الواقعي للمرأة العاذلة

)Al-SAALIKS' POETRY AND THE REALISTIC SOCIAL DIMENTION OF THE IMAGE OF THE BLAMING/ HUMILIATED WOMAN)

1-الأمين تناح *

جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، l.tennah@lagh-univ.dz

تاريخ الارسال: 2020/08/20 تاريخ القبول: 2022/06/14 تاريخ النشر: 2022/06/16

ملخص:

نحاول في هذه الدراسة الكشف عن صورة المرأة العاذلة عند الشعراء الصعاليك، و واقعيتها وواقعية الشاعر الصعلوك، والبون الذي كان بينهما، والتعرف على أهم ملامح الواقع الاجتماعي وعلاقة الصعاليك بالمرأة في المجتمع الجاهلي، الذي سادت فيه الإقطاعية والروح القَبَلية، وكيف أن المرأة مثلت واقعا اجتماعيا غير الذي كان يعيشه الصعلوك وينشده من خلال تمرده على سلطة القبيلة وتحوله لحياة الغزو والإغارة والتطلع للاشتراكية التي مثلت واقعه المناقض لواقع المرأة العاذلة التي كانت حجر عثرة في طريقه؛ ونكتشف ذلك من خلال التطرق للواقعية النقدية في الأدب، وتحليل بعض المقطوعات الشعرية للكشف عن واقعية الصورة، عبر المنهج التحليلي الوصفي حيث توصلنا إلى تفنيد الرؤية التي تقول بأسطرة صورة المرأة وأكدنا واقعيتها من خلال التحليل والقراءة لمعاني صورة المرأة عند الشاعر الصعلوك.

الكلمات المفتاحية: صورة ; مرأة عاذلة ; بعد اجتماعي; واقعية; شعر الصعاليك.

ABSTRACT :

This study reveals the blaming woman's realistic image in 'Saalik' poetry, the realistic character of those poets and the difference between the two sexes. It tries to highlight the distinctive features of the social context of the time and the relationship of these poets with women in the pre-Islamic era where tribalism prevailed. The woman used to lead a social life different from the brigand poet who rejected tribal authority and preferred bellicose life in a socialist environment reflecting a reality opposing that of the woman who hindered him. This image is confirmed through realistic literary criticism and poetic analysis. through the descriptive analytical approach in which we have reached the refutation of the vision that supports the image of the woman and confirmed its reality by analyzing and reading the meaning of the woman's image in the Brigand Poets (Sa'alik's) view.

Keywords: the picture; the woman; the social dimension; the reality; the poetry of the Saalec.

* المؤلف المرسل

1 . مقدمة:

لقد كانت المرأة في العصر الجاهلي إحدى ركائز المجتمع، وركنا من أركانه، بل هي إحدى أساسات البناء الاجتماعي والاقتصادي، حيث تمثل الحضن الدافئ الذي يلجأ إليه الإنسان العربي، يبثه همومه وأحزانه وآلامه. وهو ما جسده الشعراء الجاهليون في أدبهم، حيث كانوا يتشوقون لرؤيتها ويبكون فراقها، ولطالما صوروها في أشعارهم صورا مشرقة.

والصعاليك كغيرهم من الشعراء، تميز شعرهم بتصوير فني خاص للمرأة، تميز بالواقعية والنقل البانورامي للعلاقة الحميمية بين الصعلوك والمرأة، وأكثر الصور واقعية عندهم تمثلت في صورة المرأة العاذلة، التي كانت نقطة ضعف وقوة في آن واحد، والكشف عن هذه الصورة ومدى صدقها ومطابقتها للواقع يقودنا إلى البحث عنها في شعرهم بطريقة تحليلية نقدية من خلال الواقعية في الأدب.

من أجل ذلك جاء هذا البحث موسوما ب: "صورة المرأة العاذلة وبُعدها الاجتماعي الواقعي في شعر الصعاليك "حيث نقوم بمقاربة تحليلية لبعض المقطعات الشعرية التي جاء فيها ذكر المرأة العاذلة، للكشف عن طرق تصويرها والجوانب الواقعية من خلال الصورة الشعرية.

وكان الإطار المرجعي النظري هو الواقعية في الأدب، محاولين الوصول من خلالها إلى مدى صحة الفرضية المطروحة، والتي نرى فيها أن شعر الصعاليك بعامة كان شعرا واقعيا تصويريا للحياة الاجتماعية، وأن تصويرهم للمرأة العاذلة جاء من منطلق الواقع المعاش والحوادث الاجتماعية والاقتصادية التي يتشاركها الصعلوك والمرأة التي كانت الأم، والزوجة، والسبية ...

ولأجل إثبات صحة هذه الفرضية نطرح إشكالية الموضوع في التساؤل التالي: كيف صور الشعراء الصعاليك المرأة العاذلة وعلاقتهم بها في شعرهم المتميز؟ وتكون الإجابة عن هذا بتقديم مقاربة تحليلية لشعر الصعاليك الذي صور المرأة العاذلة وفق المنهج الوصفي التحليلي.

وتكمن أهمية الدراسة في كونها تكشف عن مدى أهمية المرأة في حياة الشاعر الصعلوك واختلافها عن المرأة في الشعر الجاهلي غير الصعلوك، وتكشف واقعيتها وصورتها المستمدة من الحياة الاجتماعية؛ وتفنيدا لقول من قال بأسطوريتها وأنها من وحي الخيال. وهو ماجدناه في بعض الدراسات التي تمكنا من الاطلاع عليها مثل: دراسة حسين عبد الجليل يوسف بعنوان: "العذل في الشعر الجاهلي"؛ ودراسة لمحمد أحمد العامري بعنوان: "صورة المرأة في الشعر الجاهلي وهم الأسطورة أو أسطرة الحقيقة".

2. الواقعية والصورة الأدبية في الشعر الجاهلي:

إن القارئ الحصيف للشعر الجاهلي يجده شعرا واقعيا استمدّ مادته من الحياة الجاهلية، واستطاع أن يصور بيئته تصويرا دقيقا، إذ لم يترك الشاعر شيئا وقعت عليه حواسه إلا صاغه شعره، فقدّم لنا صورا فنية عن طريق اللغة التي شكلت ألوان اللوحة الشعرية التي تغلغلتها ألوان حسية ونزعة واقعية؛ وقد تميز الشعر الجاهلي عموما وشعر الصعاليك خصوصا بتلك النزعة حيث "أن العرب الجاهليين لم يتركوا فنا أفضل من الشعر ... وظفوا فيه لغتهم التي تناهت إليهم غنية متينة البناء"[1]، ولذلك سمي الشعر الجاهلي

بديوان العرب؛ وقد مثل "الباب الفذ من حياة أمة فذة وهو العمدة التاريخية الأولى في تصوير حياة العرب بأيديهم في ذلك العهد تصويرا مباشرا، إذا عرضته على تاريخ الحضارة استجاب له"[2].

والشعر الجاهلي كما يرى الدكتور عبد المنعم خفاجي "يصور لنا الحياة الاجتماعية في الجاهلية وعادات العرب فيها أدق تصوير"[3]، كما نجده ينقل العديد من الأبيات الشعرية التي صورت ضروب حياتهم، وفي شتى الأغراض الشعرية، والتي تستمد من الواقع مادتها ومن اللغة آلة التصوير لتصف الحياة إما وصفا بانوراميا أمينا، أو وصفا نقديا. يقول نيكلسون: "إن الشعر الجاهلي وصف نقدي لحياة الجاهلية وأفكارها، ومعظم الشعر الذي قيده أبو تمام خاص بشجاعة العرب في حروبهم وصبرهم على الشدائد"[4]، ورأي نيكلسون أن شعر الحماسة يعد صورة لحياة الجاهلية ووصفا لأخلاقهم، وهكذا في جميع الأغراض والألوان الشعرية يعتبر المجتمع فاعلا في رفع أسهم الإنتاج الأدبي، "فالمجتمع جزء لا يتجزأ من الأدب ... والأديب يرى الوجود من خلال ذاته، يحاول إدراكه وتفسيره والتعبير عنه. وليس من شك في أن المجتمع الذي يعيشه الشاعر يمكن أن يكون بالقياس إليه مصدر إلهام ووحي لا ينضبان، وليس من شك كذلك في أن للمجتمع بكل ما يخوضه من معارك ومن نضال وكل ما يتصل به من قضايا سياسية أو اقتصادية تأثيره في الشعراء"[5].

والشعر الجاهلي نبع في عصر لم تكن فيه قوانين ولا نظريات ترسم له الطريق أو النهج الذي يسلكه سواء من ناحية الشكل أو المضمون؛ إلا أن هذا لا يمنع من تحليل صوره بمجهر النظريات النقدية الحديثة، ومن بينها الواقعية التي يرى نقاد الأدب أنها "عدم خروج الأديب بأدبه عن دائرة الواقع المألوف الذي يألفه الناس ويتفق مع معلوماتهم عن طبيعة الموضوع"[6]. ثم إن الواقعية "تحفل بالقدرة الذاتية على الخلق والإبداع، وهي تتجه من المجتمع وإليه، من خلال الرسالة الملتزمة التي تبغي تحويل الواقع المعطى إلى واقع تترسم معالمه في نفي التناقض ومسح الصراع وإذابة الفروق، فهي لا تزيف الواقع ولا تجعله شأن المثالية بعدد المفكرين فيه، بل واقعا واحدا تجري سننه على الطبقات كافة، تخضع ظواهره للملاحظة والدرس وفق مناهج علم الاجتماع"[7] وهذا لا ينفي أن تكون الواقعية في الأدب –إضافة لكونها ترسم الواقع- إنتاجا لواقع جديد يراد له أن يسود المجتمع، ذلك أن هدف الواقعية "الواقع أولا ثم التسامي به نحو رؤية مستقبلية تتمتع بقسط من الأمل والتفاؤل، فهي وإن كانت وليدة الاتجاه الاجتماعي قد توزعها تياران (نقدي، واشتراكي) يتمازجان كثيرا إلى درجة يصعب معها فصل أهدافها المتوخاة وإن اختلفت الأسس الفلسفية ومنطلقاتها الفكرية"[8].

والشعر الجاهلي كما أنه صور الواقع، قدم لنا فيه الشعراء فلسفة خاصة للحياة، وخاصة الشعراء الصعاليك الذين كانت لهم رؤيا ذات آفاق واسعة تدعوا لتغيير ذلك النمط الاستبدادي الإقطاعي في الحياة؛ وهذا ما جعل شعرهم يدخل ضمن الأدب الواقعي الذي ميز بينه وبين الأدب الغير واقعي جورج لوكاتش على أساس "أن الأدب الذي يحاكي الواقع ويصوره إذا لم يتضمن منظورا يدعو لتغييره، فهو أدب غير واقعي حتى وإن استند في كتابته إلى هذا الواقع. وعلى هذا فإن الواقعية في العمل الأدبي لا تعود إلى صلة الأدب بالواقع الذي يصوره؛ وإنما إلى المنظور التاريخي والمستقبلي الذي يشتمل عليه هذا العمل"[9].

وواقعية الصعاليك وفق هذا المنظور هي واقعية من حيث تصويرها لحياتهم الشخصية التي يعيشونها بإرادتهم لا بإرادة الجماعة أو القبيلة، و"شعرهم كله لا يعدو تصوير الواقع الذي يعيشون فيه وتصوير إحساسهم بهذا الواقع... فكل الموضوعات والأغراض التي طرقها شعرهم تعد تصويرا لواقعهم الذي يعيشون فيه"[10]، وواقعية نقدية كونهم تمردوا على الجماعة و وضفوا ذلك التمرد في شعرهم بوعي ورؤيا تنبع من بصيرة نافذة حيث "ينطلق الفكر الشعري للصعاليك المتمثل بالانعتاق عن المجتمع ومحاولة اختراق لواعج الذات من أجل خلق الكون الشعري الملائم لتلك الذات المغتربة، وقد أدى ذلك إلى شيوع البعد الذاتي الغنائي بصورة واضحة في شعرهم الذي يصور صراع الأنا ومجاهدتها من أجل إثبات وجودها الذي يبدأ غالبا عند الشعراء الصعاليك من عنصر الفردية الممثل حالة خرق النظام القبلي القائم على أسس جمالية داخل المجتمع، أو يمثل الفردية بكلمة أدق على العصبية؛ وهذا الخرق القانوني لعرف المجتمع في أي صورة كانت، ولأي سبب كان، يؤدي بالمجتمع إلى أن يرفض هذه الأنا الناقمة ويفردها ويستبعدها من حظيرته الاجتماعية"[11]، وبهذا تتكون الواقعية الأدبية في شعر الصعاليك من خلال مزجهم بين الواقع المعاش والواقع المراد، وقد تجسد هذا في شعرهم الغزلي الذي لم يكن لهم إلا أن يتمردوا فيه كما تمردوا في سائر مناحي الحياة الأخرى.

3. واقعية الغزل الجاهلي وتمرد الصعاليك:

يعتبر الغزل في العصر الجاهلي أحد أهم الأغراض الشعرية التي زخر بها ديوان العرب، فحبهم للمرأة وشعورهم بأهميتها في حياتهم جعلهم يصدّرون بها قصائدهم بالإضافة إلى ما تمتاز به من خصال، حيث "يمكن القول أن خجل المرأة وثيق الصلة بعفتها وحياءها، والخجل في نظر الرجل من مكملات المرأة العربية، لأنه دليل على صونها وتمنّعها وأنوثتها؛ وقد أعجب العرب به لأن أخلاقهم قائمة على الغيرة والعفة والإشادة بالمرأة المستكملة لصفات الانوثة"[12] وهذا ما ذكره الشنفرى مفتخرا بزوجته:

أُمَيْمَةُ لَا يُخْزى ثَنَاهَا حَلِيلُهَا إِذَا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ وَجَلَّتِ
تَحِلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بُيُوتٌ بِالمَلَامَةِ حَلَّتِ
فَقَدْ أَعْجَبَتْنِي لَا سُقُوطًا قِنَاعُهَا إِذَا مَا مَشَتْ وَلَا بِذَاتِ تَلَفُّتِ
كَأَنَّ لَهَا فِى الأَرْضِ نَسْيًا تَقُصُّهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِن تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ[13]

فبمثل هذه الزوجة والمرأة والحبيبة يفتخر الشاعر الجاهلي كونها في مستوى عالٍ عن باقي النساء بفضل حيائها وعفتها؛ فهي غير ملومة ولا مذمومة، مؤثرة لغيرها على نفسها، ثم إنها من شدة حيائها تشدّ قناعها عليها ولا تلتفت ولا ترفع رأسها حياء.

وتعتبر المرأة "هي ملهمة الشعراء، وباعثة عواطفهم الرواقة الصافية التي خلدوا لها هذا الأدب العذب المتّسم بالأصالة والصدق والحيوية، والذي يحمل في طياته كل معاني النبل والفروسية، وكانت المرأة محور حديث الشعراء العرب ومبلغ تقديرهم فافتتحوا قصائدهم وتغنوا بها في أشعارهم، ولهذا جاء الشعر العاطفي الذي يصور المشاعر الإنسانية"[14] ذات القيمة الاجتماعية والتي سارت على نمط معين، نجد الشعراء العرب قد حرصوا على بدء قصائدهم بالغزل وبكاء الأطلال والوقوف عليها، وقد "شاع هذا الاتجاه عندهم وغلب عليهم ... ولم يشذ عن هذا إلا الشعراء الصعاليك الذين شغلتهم حياتهم وما هم فيه من ترصّد

وحرمان من بدء القصائد بهذا الاتجاه"[15] وهذا ما يجعل أدبهم أدبا واقعيا من وجهة نظر لوكاتش التي أشرنا إليها، فكان تمردهم الاجتماعي ونقدهم لواقع قبائلهم يقودهم للتمرد الأدبي، "فأدبهم أدب حماسة وشدّة، ويبرز من خلاله القوة والصبر، والجوع والألم ومحنة الفقراء، والمساواة بينهم؛ وهو أدب الحرية في أسمى معانيها وأقوى صورها التي سيخلدها الدهر. قال عمرو بن براقة:

وَكَيْفَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ مَنْ جُلُّ مَالِهِ حُسَامٌ كَلَوْنِ الْمِلْحِ أَبْيَضُ صَارِمُ

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الصَّعَالِيكَ نَوْمُهُمْ قَلِيلٌ إِذَا نَامَ الخِلْيُ المُسَالِمُ"[16]

وهكذا يعيش الصعلوك واقعه بين مدّ وجزر مدّ القبيلة التي تفرض عليه قيودها وقوانينها، وجزر ذاتيته ورؤيته للعالم التي يستمدها من خبرته بالحياة وعزمه على التغيير؛ تغيير الواقع المرير.

رغم ذلك فإن الشعراء الصعاليك ذكروا المرأة في أشعارهم وتغزلوا بها، وكعادتهم في الحياة التمرد في كل شيء فإن غزلهم حمل طابعا ومنهجا مميزا، ف "أول ما يطالعنا من طابع الصعاليك في الغزل والعفة في أكرم صورها، سواء في حديثهم عن عواطفهم وأشواقهم أو عن صفات حبيباتهم وخلقهن، بالإضافة إلى الواقعية والصدق في تصوير صِلاتهم العاطفية ... وليس في غزلهم شطحات الخيال ولا أوهام الأماني الكاذبة، ثم إنهم تغزلوا بزوجاتهم؛ وهو ما لم يكن مألوفا عند الشعراء الآخرين"[17]، وهو ما رأيناه في أبيات الشنفرى في زوجته، وهذا عروة بن الورد يذكر حنينه لإحدى سباياه التي فارقته وحال قومها بينه وبينها دون فحش في القول أو رزية يقول:[18]

تَحِنُّ إِلَى سَلْمَى بِحُرِّ بِلَادِهَا وَأَنْتَ عَلَيْهَا بِالمَلَا كُنْتَ أَقْدَرَا

تَحِلُّ بِوَادٍ مِنْ كَرَاءِ مَضِلَّةٍ تُحَاوِلُ سَلْمَى أَنْ أُهَابَ وَأُحْصَرَا

فرغم مقدرته عليها وعلى قومها إلا أنه تَعَفَّفَ عن أذيتها أو أذية قومها بقول فاحش يسير في العرب فيفسد عفتها رغم أنها غدرت به.

تلك العفة في التغزل لم تكن عند غير الصعاليك الذين أوغلوا في تصوير المرأة بشتى الصور المادية الملموسة الواقعية والغير واقعية، حيث يشبهها بما يشتهيه من الطبيعة وصورها، يقول صلاح عبد الصبور في ذلك: "يذكر في مثال المرأة العربية الجميلة كما نراه في شعرنا القديم بلوحات الفنان (روبنز) حيث يتوقد اللحم البشري فخورا ببياضه معتزا بامتلائه ونضارته، فالمرأة الجميلة عند شاعرنا القديم هي المرأة البيضاء التي استرخى شعرها الأسود حول مشرقها الناصع، واشرأبّ جِيدُها الأتلع، ونهد ثديها النافر، ودقّ خصرها، ثم جلت عجيزتها جلالا واستدارت ساقها، فما استطاع الخلخال إلا الصمت"[19]. هذا الإبداع في التصوير لم يمنع الشاعر الجاهلي من تقديم ذلك النموذج الجمالي للمرأة في قصائده في عدة صور من الواقع الذي يعيشه ومن بيئته الصحراوية ثم من التأثير النفسي الذي يحل بأنا الشاعر فيرسم له صورا عدة يترجمها في شعره عبر اللغة "فالصورة تعبير عن حالة نفسية معينة يعانيها الشاعر إزاء موقف معين من مواقفه مع الحياة. ومن المسلم به أن مقياس الصورة الناجحة هو مقدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بأمان ودقة"[20] وهو ما جسده الشعراء الجاهليون في شعرهم خاصة في الوقفة الطللية التي يصف فيها كل ما يذكّره بالمرأة المحبوبة؛ ولا تقتصر صورهم فيها على المرأة، إنما المرأة هي السبب في ذكر الوقفة على الديار والدمن والطلل،

وهي الصورة التي تمرد عليها الصعاليك وأبدلوها بأخرى غيرها متنوعة. وكان هذا من أهم الخصائص الفنية في شعرهم ف "معظم ما وصلنا من شعرهم تخلص من مقدمة الطلل التقليدية، واستبدل بها مقدمة نسوية أخرى لا يظهر فيها الشاعر هالكا من الوجد والحزن للفراق، بل تظهر فيها المرأة محبة حريصة على فارسها تدعوه للمحافظة على نفسه، ولكنه لا يستمع إليها، بل ينطلق في حياته ومغامراته"[21] فهذا عروة بن الورد يقول:[22]

عَفَتْ بَعْدَنَا أُمُّ حَسَّانٍ غَضْوَرُ * وَفِي الرَّحْلِ آيةُ مِنهَا لَا تَغَيَّرُ
وَبالغُرِّ وَالغَرَّاءِ مِنْهَا مَنَازِلُ * وَحَوْلَ الصَّفَا مِنْ أَهْلِهَا مُتَدَوَّرُ

وقد كانت جلّ قصائدهم تحمل تلك الصورة الطبيعية الواقعية مهما كان الغرض الشعري؛ وإن كان العديد من الباحثين يرى أن المقدمة الطللية قد سقطت من شعر الصعاليك، إلا أن الرأي الأقرب للصواب ما رجحه الدكتور مصطفى السيوفي حيث يرى "أن الشاعر الصعلوك قد تخلص منها عن قصد، خروجا على تقاليد القبيلة المرسومة في القصيدة الجاهلية وتعبيرا عن ذلك القلق الوجودي الذي يتهدده"[23] وكان يعالج جميع علاقاته مع المرأة ويصورها دون الحاجة للوقوف على الأطلال، فمعظم الصعاليك تغزلوا بزوجاتهم وليس كباقي الشعراء الجاهليين بمحبوبات بعيدات حِيلَ بينهم وبينهن، وكانت من بين أهم صور المرأة في شعر الصعاليك صورة المرأة العاذلة.

4.الصورة الاجتماعية للمرأة العاذلة عند الصعاليك:

إن الشاعر الصعلوك كانت له نظرة للحياة مغايرة عما كان متعارفا عليه في المجتمع الجاهلي، نظرة فلسفية جسدها من خلال ما اعترى أناه من مواقف سيكولوجية وسوسيولوجية "والظروف المرافقة لإنتاج النصوص الشعرية تؤلف لامحالة جزءا من مضمون تلك النصوص، وإلى جانبها يبقى الموقف السيكولوجي الذي يصاحب هذه الظروف؛ فإن مظاهر الحياة لا تعيش منفصلة، وعلى الرغم من تقدير المسافة بين الظروف الاجتماعية وعمل الأديب، لا بد من تقدير خطوة ثالثة هي الخلفية الذهنية، فالأديب لا ينتج أثره من دون خلفية ذهنية تكون ماثلة وباستمرار وراءه أثناء قيامه بعمله الإبداعي"[24] وبالإضافة إلى تلك الخلفية فإن الصعاليك كانوا واقعيين في فلسفتهم في الحياة، حيث يجسدون في أشعارهم الصورة المنطقية للحياة، وواقعيين نقديين بتمردهم على الحياة التي تفرضها القبيلة، وتبدو "أول مظاهر هذه الواقعية اتخاذهم الحياة بما فيها من خير وشر مادة لموضوعاتهم، وبعدهم عن الإمعان في الخيال إمعانا ينقلهم من عالم الواقع إلى عالم الأوهام بسحبه العالية وأبراجه العاجية، فقد صور الشعراء الصعاليك في فنهم البيئة البدوية التي يعيشون فيها بكل مظاهرها ... وصوروا الشخصيات الإنسانية التي يتصلون بها كما يرونها في الواقع المحسوس بكل ما بينها من تباين واختلاف الأعداء والأصدقاء، والصعاليك العاملين والصعاليك الخاملين، والنساء المشجعات والنساء المثبطات، والنساء المعجبات والنساء المنهمكات ..."[25] هؤلاء النسوة اللائي ذكرهم الصعاليك في شعرهم بما يحملنه من تناقض؛ فقد تمرّ بزوجة الشاعر أو بمحبوبته أو أمه حالتين من التناقض، إذ قد تكون مشجعة أحيانا ومثبطة أخرى، ويتجلى ذلك في صورة المرأة العاذلة عند الصعاليك.

والعذل هو: "اللوم والعذل مثله عذله يعذله عذلا، وعذله فاعتذل، وتعذل لامه فقبل منه واعتب، والاسم العذل والعذال والعذل والعواذل من النساء جمع عاذلة، ويجوز العاذلات وهم العذلة، والعذال والعذل. وجاء في اللسان: اللوم واللوماء واللومة واللائمة. والعذل في الشعر الجاهلي نجده واللوم متلازمان بصورة لافتة للنظر كما نجد اللوم يقترن في بعض المواضع باللحى بمعنى العذل"[26].

وفي الشعر الجاهلي تتجلى صورة المرأة العاذلة فاعلة من حيث أنها تلوم زوجها في إفراطه في بعض ما يقوم به من أفعال كالغزو والكرم ... وهذا ما يتجسد في شعر الصعاليك الذين كانت لهم حياة مغايرة لما يسود قبائلهم وكانت مكانة المرأة عندهم غير مكانتها عند غيرهم؛ لذا بدت صورة العاذلة المشفقة أحيانا والمعنّفة أحيانا أخرى. يقول تأبط شرا:[27]

بَلْ مَنْ لِعَذَّالَةٍ خَذَّالَةٍ أَشِبٍ * حَرَّقَ بِاللَّوْمِ جِلْدِي أَيَّ تِحْرَاقِ
يَقُولُ أَهْلَكْتَ مَالًا لَوْ قَنَعْتَ بِهِ * مِنْ ثَوْبِ صِدْقٍ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلَاقِ
عَاذِلَتِي إِنَّ بَعْضَ اللَّوْمِ مَعْنَفَةٌ * وَهَلْ مَتَاعٌ إِنْ أَبْقَيْتَهُ بَاقِ
إِنِّي زَعِيمٌ لَئِنْ لَمْ تَتْرُكِي عَذْلِي * أَنْ يَسْأَلَ الحَيَّ عَنِّي أَهْلُ آفَاقِ

فهو يذكر عاذله رجلا أضرّ به حتى حرق جلده باللوم. وإلصاق تاء التأنيث به يحيل إلى هاجس المرأة العاذلة "ففي قليل من المواقف نجد العذل صادر عن رجل، واللافت للنظر أن الشاعر يدعوه بعذالة كعلامة بتاء التأنيث، في الوقت الذي نجده يرخّم عاذلة فيحذف تاء التأنيث .. والشاعر يرتبط بالعاذلة ارتباطا قويا، فهو ينسى أو يتناسى أنه يخاطب عاذلا فينتقل انتقالا مفاجئا إلى مخاطبة العاذلة وقد يكون ذلك لسيطرة نموذج العاذلة"[28].

وإذا ما تتبعنا ظاهرة العذل في شعر الصعاليك، فإنا نلاحظ أن صورة المرأة العاذلة تتجلى في حرصها على الشاعر وإشفاقها عليه، تدعوه إلى الروية والتعقل في كل شيء، وقد مثّلت صوت العقل الواعي في نفس الشاعر الحذرة، ذلك الصوت الذي كان الصعلوك يرفضه وإغراءه الأنثوي الذي يجره من أناه الأعلى المتمثل في المجتمع الذي لا يعترف به أصلا، فيضعف الصعلوك صورة المرأة بعدم الالتفات إليها وإلى عذلها له، حيث هو الفارس البطل صاحب المبادئ النبيلة والأهداف السامية ورسالة الحياة التي تتمثل في طلب العيش الكريم له ولعياله ورفقائه وفقراء مجتمعه؛ فنجده "يخالف هذا الصوت لا ازدراء بالمرأة العاذل وانتقاصا من شأنها، ولكن مبالغة فيما هو فيه، وإصرارا منه عليه، لأنه يرى في ذلك معنى جديدا يضاف إلى ما يفتخر به من مكارم الأخلاق، ومن القيم والخصال الحميدة، فاستعان بهذه الوسيلة غير المباشرة للتعبير عما يريد"[29] ومن ثم كان الشاعر الصعلوك يتخذ من العذل مسوغا لما يفعله ولما يقدمه من أفكار، فهذا عروة بن الورد يصور زوجته التي تلومه عما يركب من مفاوز الحياة، فيتحاور اللوم في القصيدة بين أنا الشاعر والانا الأعلى المتمثل في صوت الزوجة وهو صوت المجتمع الذي فر منه عروة الصعلوك فيتبادلان اللوم يقول:[30]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ * وَنَامِي وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي
ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنَّنِي * بِهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ البَيْعَ مُشْتَرِي

أَحَادِيثُ تَبْقَى وَالفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ * إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً فَوقَ صُيَّرِ
تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الكُنَّاسِ وَتَشْتَكِي * إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ رَأَتْهُ وَمُنْكَرِ
تَقُولُ: لَكَ الوَيلَاتُ هَلْ أَنْتَ تَارِك * ضُبُوًّا بِرِجْلٍ تَارَةً وَبِمِنْسَرِ
فَجُوعٌ لِأَهْلِ الصَّالِحِينَ مَزَلَّةٌ * مَخُوفٌ رَدَاهَا أَنْ تُصِيبَكَ فَاحْذَرِ

حيث يستهل عروة هذه الصورة باستعطاف زوجته ومخاطبتها بأحبّ صفاتها وهي نسبتها إلى أبيها (يا بنت منذر)، وهكذا تفعل العرب أين تنسب الأبناء لآبائها، فكأنه يذكّرها بنسبها وبما كانت عليه قبل التحاقها به، ثم يستدرج من الاستعطاف إلى لومها وتذكيرها بمن تكون وهي أم ولده (أم حسان)، وفي ذلك نوع من التعنيف في قوله (ذريني) ويكررها لها (ذريني أطوف)، وفيه إقامة الحجة لنفسه عليها، ويبرر سلوكه الذي من أجله دوما تعذله زوجته خوفا عليه من المخاطر ولا يمكن حدّ هذا الخوف إلا بتخويفه وتحذيره وترهيبه من سلوكه حيث تقول: (لك الويلات، إنني أراك على أقتاد صرماء، فجوع لأهل الصالحين مزلة) فهي تحذّره وتخوفه من مغبة الإسراف في الكرم وقلة الادخار، وتذكره بمصدر المال الغير مستقر، والذي يحيله إلى حياة دائمة الخطر في البحث عنه، ورغم كل ذلك إلا أن ذات الشاعر تتغلب على صوت المرأة الصاخب في ضميره "وصيغ الأمر: أقلي اللوم، ذريني أطوف، ذريني ونفسي، تكشف عن حضور الذات التي ترفض صوت الآخر – العاذلة- فتضحي هذه الذات ممتلئة وقادرة على جعل الآخرين يستمعون لصوتها وأفكارها"[31] وتبدو واقعية صورة الزوجة العاذلة في كونها صوت المجتمع ورؤية العالم التي تقدمها الزوجة المشفقة، رغم أنها تتنافى مع واقعية عروة ورؤياه، فقدم لنا الشاعر واقعية الزوجة، ثم الواقعية النقدية الاشتراكية التي تتمثل في رؤيته للعالم وما يجب أن يكون عليه الصعلوك أولا ثم الرجل العربي ثانيا. كما نجد الصورة تتعدى لغيرها عند عروة في تصويره لزوجته التي تتخذ موقفين متناقضين في عذله حيث تعذله على قعوده عن الكسب والخروج للرزق، وتلومه ثانيا وتعذله في الإكثار من الخروج للغزو والكرم الزائد عن الحد، حيث نجد الأول في قوله:[32]

قَالَتْ تُمَاضِرُ، إِذْ رَأَتْ مَالِي خَوَى * وَجَفَا الأَقَارِبُ فَالفُؤَادُ قَرِيحُ
مَالِي رَأَيْتُكَ فِي النَّدَى مُنَكَّسَا * وَصَبًا كَأَنَّكَ فِي النَّدِيِّ نَطِيحُ
المالُ فِيهِ مَهَابَةٌ وَتَجِلَّةٌ * وَالفَقْرُ فِيهَ مَذَلَّةٌ وَفضُوحُ

فهي تلومه على قعوده عن طلب الرزق، ويدلّ على إقذاعها في عذلها له قوله (قالت، منكسا، وصبا، نطيح، خاطر بنفسك، إن القعود مع العيال قبيح) فبعد أن شنّعت له في الوصف وشحذت همته للخروج والغزو تأتي بالحجة والبرهان لتوضح له ما الذي سيؤول إليه حاله بعد ذلك في قوله:

المَالُ فيهِ مَهَابةٌ وَتَجلَّةٌ * وَالفَقْرُ فيهِ مَذلَّةٌ وَفضُوحُ

وهذا القول جاء على لسان الزوجة التي تمثل صورة الضمير الحي في الشاعر الذي هبّ مسرعا لطلب الرزق وجعل ذلك مبررا لخروجه للغزو وركوب المفاوز، وجاء البيت الأخير تصوير للعام بعد الخاص، "فالمقولتان الأساسيتان في عالم عروة الشعري تتمثلان في هذين المحورين: المال فيه مهابة وتجلّة، والفقر فيه

مذلة وفضوح. وهما محوران يتصلان بالمستوى الواقعي الاجتماعي لعالمه الشعري، فبالمال يمكن للإنسان أن يحقق ذاته عكس كونه فقيرا"[33].

أما الموقف الذي رأيناه قبل هذا، والذي كانت أم حسان تعذله فيه عن كثرة خروجه للغزو وإسرافه في الكرم، فإنه لا يمثل تناقضا في الصورة، ففي هذا الموقف تجلت صورة المرأة المشفقة على زوجها من الذل والهوان وحياة الفقر، وفي الموقف الآخر (أقلي اللوم) فقد تجلت فيه نفس الصورة حيث الزوجة تخشى على زوجها من إسرافه في الغزو والإغارة والكرم الزائد عن اللزوم.

واجتماعيا قدم عروة صورة العاذلة في أرقى المراتب الاجتماعية؛ فخوفها على زوجها كان في مجالات عدة، اجتماعيا، واقتصاديا، وحتى سياسيا، حين دعته للخروج وطلب الرزق لتحفظ له كرامته، وأشفقت عليه بعدها إشفاق الأم الحنون حين خوفته الموت وتربص الأعداء، فهي لا تحتمل العيش دونه يقول:[34]

أَرَى أُمَّ حَسَّانَ الغَدَاةَ تَلُومُنِي * تُخَوِّفُنِي الأَعْدَاءَ وَالنَّفْسُ أَخْوَفُ
تَقُولُ سُلَيْمَى: لَوْ أَقَمْتَ لَسَرَّنَا * وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ
لَعَلَّ الذِي خَوَّفْتِنَا مِنْ أَمَامِنَا * يُصَادِفُ فِي أَهْلِهِ المُتَخَلِّفُ

وفي هذه القصيدة "يعكس ما يعانيه الشاعر، فالمرأة تخوفه الاعداء وهو يعترف أنه اكثر خشية للأعداء مما تعتقد، ويقرر أن الموت لا يفرق بين من يواجه الخطر وبين القاعد"[35].

وهكذا تمثلت الصورة الاجتماعية للعاذلة في شعر عروة بن الورد صورة مستمدة من الواقع الاجتماعي على الرغم من أنا نجدها تمثل رمزا للأنا الأعلى المقابل لأنا الشاعر وهي صوت الضمير فيه؛ تدل على الاضطراب الذي كان يتخبط فيه الشاعر، إلا أن ذاته علت على ذلك واستماتت في السير على الطريق الذي رسمته أنا الشاعر ورؤياه وفلسفته في الحياة.

ويبدو أن العاذلات في شعر الصعاليك اتفقن على عذل أزواجهن على الكرم الذي كان أحد سمات الصعاليك، ويبدو كذلك أن للصعاليك مبررات لذلك الكرم "وهي مبررات تتصل بالذات وبالغير وبالأخلاق وبالمجتمع وبالرؤية الجاهلية للموت والحياة. ويكشف هذا الجدل عن صراع بين الواقع والمثل الأعلى عند البعض من خلال رؤية رحبة شاملة وقد يحدث بينهما نوع من التناقض نتيجة قصور في إدراك العلاقات العميقة، أو بالشعور باستحالة تحقيق هذا المثل الأعلى في الواقع"[36] وهو ما نجده عند تأبط شرا في وصفه للمرأة العاذلة على الكرم، حين يمزج بين الصوت الذكوري والأنثوي في العذل ليبرر الفارق بين الصورتين؛ يقول في قصيدته يا عيد مالك:[37]

بَلْ مَنْ لِعَذَّالَةٍ خَذَّالَةٍ أَشِبٍ * حَرَّقَ بِاللَّومِ جِلْدِي أَيَّ تِحْرَاقِ
يَقُولُ أَهْلَكْتَ مَالًا لَوْ قَنِعْتَ بِهِ * مِنْ ثَوْبِ صِدْقٍ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلَاقِ
عَاذِلَتِي إِنَّ بَعْضَ اللَّوْمِ مَعْنَفَةٌ * وَهَلْ مَتَاعٌ إِنْ أَبْقَيْتُهُ بَاقِ
إِنِّي زَعِيمٌ لَئِنْ لَمْ تَتْرُكِي عَذْلِي * أَنْ يَسْأَلَ الحَيَّ عَنِّي أَهلُ آفَاقِ
سَدِّدْ خَلَالَكَ مِنْ مَالٍ تُجَمِّعُهُ * حَتَّى تُلَاقِي الذِي كُلُّ امْرِئٍ لَاقِ
لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السِنَّ مِنْ نَدَمٍ * إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

تَا اللهِ آمَنُ كُلَّ أُنْثَى بَعْدَمَا حَلَفَتْ * أَسْمَاءُ بِاللهِ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقِ

والشاعر حين مزج بين الصوت الذكوري والأنثوي إنما كان يريد إزاحة الصورة النمطية للمرأة العاذلة الضعيفة، وحاول أن يجعلها أكثر واقعية، فالمرأة التي تعيش مع الصعلوك عليها أن تعايش الوضع وتساير حياة الصعاليك التي تعتمد على الرجولة ولا تتحمل الضعف الأنثوي "ولذا كان أجدى بهذه العاذلة اتخاذ أسلوب جديد يستند إلى منطق العقل ذي الصيغة الفحولية المنسجمة مع عالم الصعلوك، أملا في إرجاع هذا الصعلوك الثائر إلى منظومة القيم والاعراف السائدة"[38].

ودلالة التحول من صوت إلى آخر توضح صورة الضعف الاجتماعي الذي تعانيه المرأة في عيشها مع الصعلوك إذ تدعوه للعدول عن الكرم الزائد خوفا من فقد المال الذي يكابد الصعلوك في كسبه مصاعب جمة، تلك المصاعب التي كرهتها الزوجة التي تفضل الانسجام الاجتماعي مع القبيلة. و"إن إهلاك المال يمثل في ذهن العاذلة حركية ضد الزمن، في حين تشكل ثقافة البخل التي تدعو إليها العاذلة إشارة إلى السكونية وحالة الخضوع لما هو مألوف وقار؛ ولهذا فإن الشاعر يكشف لعبة القناع الذي يتحول فيه خطاب العذل من صورته الأنثوية إلى صورة الفحولة"[39] وذلك في قوله:

عَاذِلَتِي إِنَّ بَعْضَ اللَّومِ مَعنَفَةٌ * وَهَل مَتَاعٌ إِنْ أَبقَيْتُهُ بَاقِ

فهو يؤكد واقعية المرأة اجتماعيا حين تدعوه لما دأب عليه المجتمع؛ وهو جمع المال دون الإخلال به، وتريد منه أن يعيش واقعية المجتمع لا واقعية الصعلكة؛ وهو لا يرضى بذلك ولا يرضى بتعنيفها إياه، ويحيلها إلى رؤيته الوجودية للحياة والتي تبدو أكثر واقعية من رؤيتها. فالمال لا يبقيه البخل، كما أن الصعلوك لا يبقيه قعوده عن الغزو وادخار المال، وهذه إشارة للثنائية الضدية "الحياة والموت"، وفي مقابلها "البخل والكرم".

إن تأبط شرا كغيره من الصعاليك له موقف في الحياة لا تثنيه عليه العاذلة مهما كان سبيلها في العذل، وهو موقف ينسجم ورؤية الصعاليك إلى طبيعة العلاقة مع الجماعة، حيث أن الإصغاء للعاذلة لم يكن تأثرا وغنما وإنما تحببا للطرف الآخر المحب والمشفق على الصعلوك، ولكنه – تأبط شرا– يهدد عاذلته بالانفصال عنها والرحيل إلى حيث لا يعذله أحد، ولتحقيق فوقية ذاته وانتصارها على المجتمع المخذل الذي يتمثل في صورة الزوجة العاذلة.

إن الانفصال عن المرأة عند الصعاليك يبدوا أمرا عظيما جدا، حيث إن الصعلوك قد يهدد المرأة بذلك لعذلها إياه عما يرومه في هذه الحياة، وهو ما صوره تأبط شرا في قوله:

إِنِّي زَعِيمٌ لَئِن لَمْ تَترُكِي عَذْلِي * أَنْ يَسْأَلَ الحَيَّ عَنِّي أَهْلُ آفَاقِ

سَدِّدْ خِلَالَكَ مِنْ مَالٍ تُجَمِّعُهُ * حَتَّى تُلَاقِي الذِي كُلُّ امْرِئٍ لَاقِ

وهنا "يهدد الشاعر عاذلته بالانفصال الكلي – انفصال مكاني– إن لم تترك النقد والعذل، وهو بهذا التهديد يمكن فرديته من الظهور – إني زعيم– كما يفكك علاقة الانتماء إلى الفكر الجمعي بتحقيق الغياب (أن يسأل الحي عني) مما يجعل القبيلة تعيش لحظة الفقد وهي تبحث دائبة عن هذه الذات المتفردة"[40].

والواقع الاجتماعي للصعاليك لا يقف عند هذا الحد في علاقتهم مع المرأة العاذلة، إذ نجدها تظهر في صورة عكسية، ويصورها الشاعر في خطابه على أنها تتموقع بعذلها إياه مركز القوة الاجتماعي حيث تتحول إلى مهدد بالانفصال عنه إن هو لم يترك ما عذلته فيه. يقول السليك بن السلكة:[41]

أَلَا عَتَبَتْ عَلَيَّ فَصَارَمَتْنِي * وَأَعْجَبَهَا ذَوُو اللَّمَمِ الطِّوَالِ
فَلَا تصِلِي بِصُعلُوكٍ نَؤُومٍ * إِذَا أَمْسَى يُعَدُّ مِنَ العِيَالِ
إِذَا أَضْحَى تَفَقَّدَ مَنْكِبَيْهِ * وَأَبْصَرَ لَحْمَهُ حَذَرَ الهُزَالِ
وَلَكِنْ كُلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ * بِنَصْلِ السَّيْفِ هَامَاتِ الرِّجَالِ
أَشَابَ الرَّأْسُ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ * أَرِى لِي خَالَةً وَسْطَ الرِّحَالِ
يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا * وَيَعْجَزُ عَنْ تَخَلُّصِهِنَّ مَالِي

وفي هذه الأبيات يقدم الشاعر صورة اجتماعية ثنائية القطب، فحاله هي القطب الأول، وحال عاذلته وصرمها إياه القطب الثاني، وذكر ما يتمتع به من صفات الفحولة التي يعتب بها على عاذلته ومجتمعه القاسي، إذ هو شجاع بطل مجرب صاحب صولات وجولات في الغزو، وذلك رغم هزاله وسواد لونه، وهذا ما زاد من شدة معاناته مع مجتمعه الذي يعيش فيه هو وجميع الصعاليك "على طرفي نقيض، حيث يؤكد علم الاجتماع على الصلة بين الفرد والمجتمع، بحيث يكون عمل الفرد لصالح المجموع؛ كما أنه على الجماعة أن تحتضن الفرد، وأي انتقاص في هذا الميزان التعادلي ينتهي بالفرد إلى أن يكون ضد مجتمعه أو في صراع معه بل يعمل الفرد على تقويض هدوئه"[42]. وفي نص السليك يقدم لنا صورة المرأة العاذلة في بنيتها الاجتماعية القاسية المستمدة من القبيلة، ويرى أن عتابها أضر به إذ تحولت لغيره (وأعجبها ذو اللمم الطوال) في حين كان يجدر بها أن تكون سندا له وسلوة عما يعانيه، ويكون هو فخرا لها وعزا بفروسيته وكرمه، وبعتابها له تبينت تلك الصورة القبيحة من الطبقية التي كانت في المجتمع الجاهلي، وتخليها عنه كان موقفا سلبيا بدت فيه صورة المرأة المبتذلة عند الصعلوك، حيث أقامت ذلك الحاجز الاجتماعي الذي لطالما تمرد عليه الصعاليك وأرادوا هدمه وبناء جسر الاشتراكية مكانه، فالصورة الواقعية تتجلى عند الشاعر كونه لم يتخلى عن موقفه ومبادئه في الحياة، أما واقعية العاذلة فبدت واضحة في صرمها لبعلها كما صرمته القبيلة، فهي واقعية مع الجماعة لا تريد حياة غير واقع أهلها وقبيلتها.

5. المرأة العاذلة بين الواقعية والرمزية:

إن الشاعر الصعلوك كانت له نظرة للحياة مغايرة عما كان متعارفا عليه في المجتمع الجاهلي، نظرة فلسفية جسدها من خلال ما اعترى أناه من مواقف سيكولوجية وسوسيولوجية "والظروف المرافقة لإنتاج النصوص الشعرية تؤلف لامحالة جزءا من مضمون تلك النصوص، وإلى جانبها يبقى الموقف السيكولوجي الذي يصاحب هذه الظروف؛ فإن مظاهر الحياة لا تعيش منفصلة، وعلى الرغم من تقدير المسافة بين الظروف الاجتماعية وعمل الأديب، لا بد من تقدير خطوة ثالثة هي الخلفية الذهنية، فالأديب لا ينتج أثره من دون خلفية ذهنية تكون ماثلة وباستمرار وراءه أثناء قيامه بعمله الإبداعي"[43] وبالإضافة إلى تلك الخلفية فإن الصعاليك كانوا واقعيين في فلسفتهم في الحياة، حيث يجسدون في أشعارهم الصورة المنطقية للحياة،

وواقعيين نقديين بتمردهم على الحياة التي تفرضها القبيلة، وتبدو "أول مظاهر هذه الواقعية اتخاذهم الحياة بما فيها من خير وشر مادة لموضوعاتهم، وبعدهم عن الإمعان في الخيال إمعانا ينقلهم من عالم الواقع إلى عالم الأوهام بسحبه العالية وأبراجه العاجية، فقد صور الشعراء الصعاليك في فنهم البيئة البدوية التي يعيشون فيها بكل مظاهرها ... وصوروا الشخصيات الإنسانية التي يتصلون بها كما يرونها في الواقع المحسوس بكل ما بينها من تباين واختلاف الأعداء والأصدقاء، والصعاليك العاملين والصعاليك الخاملين، والنساء المشجعات والنساء المثبطات، والنساء المعجبات والنساء المنهمكات ..."[44] هؤلاء النسوة اللائي ذكرهم الصعاليك في شعرهم بما يحملنه من تناقض؛ فقد تمرّ بزوجة الشاعر أو بمحبوبته أو أمه حالتين من التناقض، إذ قد تكون مشجعة أحيانا ومثبطة أخرى، ويتجلى ذلك في صورة المرأة العاذلة عند الصعاليك.

والعذل هو: "اللوم والعذل مثله عذله يعذله عذلا، وعذله فاعتذل، وتعذل لامه فقبل منه واعتب، والاسم العذل والعذال والعذل والعواذل من النساء جمع عاذلة، ويجوز العاذلات وهم العذلة، والعذال والعذل. وجاء في اللسان: اللوم واللوماء واللومة واللائمة. والعذل في الشعر الجاهلي نجده واللوم متلازمان بصورة لافتة للنظر كما نجد اللوم يقترن في بعض المواضع باللحى بمعنى العذل"[45].

وفي الشعر الجاهلي تتجلى صورة المرأة العاذلة فاعلة من حيث أنها تلوم زوجها في إفراطه في بعض ما يقوم به من أفعال كالغزو والكرم ... وهذا ما يتجسد في شعر الصعاليك الذين كانت لهم حياة مغايرة لما يسود قبائلهم وكانت مكانة المرأة عندهم غير مكانتها عند غيرهم؛ لذا بدت صورة العاذلة المشفقة أحيانا والمعنّفة أحيانا أخرى. يقول تأبط شرا:[46]

بَلْ مَنْ لِعَذَّالَةٍ خَذَّالَةٍ أَشِبٍ *** حَرَّقَ بِاللَّومِ جِلْدِي أَيَّ تِحْرَاقِ
يَقُولُ أَهْلَكْتَ مَالًا لَوْ قَنِعْتَ بِهِ *** مِنْ ثَوْبِ صِدْقٍ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلَاقِ
عَاذِلَتِي إِنَّ بَعضَ اللَّوْمِ مَعنَفَةٌ *** وَهَلْ مَتَاعٌ إِنْ أَبقَيْتُهُ بَاقِ
إِنِّي زَعِيمٌ لَئِنْ لَمْ تَتْرُكِي عَذْلِي *** أَنْ يَسْأَلَ الحَيَّ عَنِّي أَهْلُ آفَاقِ

فهو يذكر عاذله رجلا أضرّ به حتى حرق جلده باللوم. وإلصاق تاء التأنيث به يحيل إلى هاجس المرأة العاذلة "ففي قليل من المواقف نجد العذل صادر عن رجل، واللافت للنظر أن الشاعر يدعوه بعذالة كعلامة بتاء التأنيث، في الوقت الذي نجده يرخّم عاذلة فيحذف تاء التأنيث .. والشاعر يرتبط بالعاذلة ارتباطا قويا، فهو ينسى أو يتناسى أنه يخاطب عاذلا فينتقل انتقالا مفاجئا إلى مخاطبة العاذلة وقد يكون ذلك لسيطرة نموذج العاذلة"[47].

وإذا ما تتبعنا ظاهرة العذل في شعر الصعاليك، فإنا نلاحظ أن صورة المرأة العاذلة تتجلى في حرصها على الشاعر وإشفاقها عليه، تدعوه إلى الروية والتعقل في كل شيء، وقد مثّلت صوت العقل الواعي في نفس الشاعر الحذرة، ذلك الصوت الذي كان الصعلوك يرفضه وإغراءه الأنثوي الذي يجره من أناه الأعلى المتمثل في المجتمع الذي لا يعترف به أصلا، فيضعف الصعلوك صورة المرأة بعدم الالتفات إليها وإلى عذلها له، حيث هو الفارس البطل صاحب المبادئ النبيلة والأهداف السامية ورسالة الحياة التي تتمثل في طلب العيش الكريم له ولعياله ورفقائه وفقراء مجتمعه؛ فنجده "يخالف هذا الصوت لا ازدراء بالمرأة العاذل وانتقاصا

من شأنها، ولكن مبالغة فيما هو فيه، وإصرارا منه عليه، لأنه يرى في ذلك معنى جديدا يضاف إلى ما يفتخر به من مكارم الأخلاق، ومن القيم والخصال الحميدة، فاستعان بهذه الوسيلة غير المباشرة للتعبير عما يريد"[48] ومن ثم كان الشاعر الصعلوك يتخذ من العذل مسوغا لما يفعله ولما يقدمه من أفكار، فهذا عروة بن الورد يصور زوجته التي تلومه عما يركب من مفاوز الحياة، فيتحاور اللوم في القصيدة بين أنا الشاعر والانا الأعلى المتمثل في صوت الزوجة وهو صوت المجتمع الذي فر منه عروة الصعلوك فيتبادلان اللوم يقول:[49]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ *** وَنَامِي وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي
ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانِ إِنَّنِي *** بَهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ البَيْعَ مُشْتَرِي
أَحَادِيثُ تَبْقَى وَالفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ *** إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً فَوْقَ صُيَّرِ
تُجَاوِبُ أَحجَارَ الكُنَّاسِ وَتَشْتَكِي *** إِلَى كُلِّ مَعرُوفٍ رَأَتهُ وَمُنْكَرِ
تَقُولُ: لَكَ الوَيلَاتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ *** ضُبُوًّا بِرِجلٍ تَارَةً وَبِمِنْسَرِ
فَجُوعٌ لِّأَهْلِ الصَّالِحِينَ مَزَلَّةٌ *** مَخُوفٌ رَدَاهَا أَنْ تُصِيبَكَ فَاحْذَرِ

حيث يستهل عروة هذه الصورة باستعطاف زوجته ومخاطبتها بأحبّ صفاتها وهي نسبتها إلى أبيها (يا بنت منذر)، وهكذا تفعل العرب أين تنسب الأبناء لآبائها، فكأنه يذكّرها بنسبها وبما كانت عليه قبل التحاقها به، ثم يستدرج من الاستعطاف إلى لومها وتذكيرها بمن تكون وهي أم ولده (أم حسان)، وفي ذلك نوع من التعنيف في قوله (ذريني) ويكررها لها (ذريني أطوف)، وفيه إقامة الحجة لنفسه عليها، ويبرر سلوكه الذي من أجله دوما تعذله زوجته خوفا عليه من المخاطر ولا يمكن حدّ هذا الخوف إلا بتخويفه وتحذيره وترهيبه من سلوكه حيث تقول: (لك الويلات، إنني أراك على أقتاد صرماء، فجوع لأهل الصالحين مزلة) فهي تحذّره وتخوفه من مغبة الإسراف في الكرم وقلة الادخار، وتذكره بمصدر المال الغير مستقر، والذي يحيله إلى حياة دائمة الخطر في البحث عنه، ورغم كل ذلك إلا أن ذات الشاعر تتغلب على صوت المرأة الصاخب في ضميره "وصيغ الأمر: أقلي اللوم، ذريني أطوف، ذريني ونفسي، تكشف عن حضور الذات التي ترفض صوت الآخر – العاذلة- فتضحي هذه الذات ممتلئة وقادرة على جعل الآخرين يستمعون لصوتها وأفكارها"[50] وتبدو واقعية صورة الزوجة العاذلة في كونها صوت المجتمع ورؤية العالم التي تقدمها الزوجة المشفقة، رغم أنها تتنافى مع واقعية عروة ورؤياه، فقدم لنا الشاعر واقعية الزوجة، ثم الواقعية النقدية الاشتراكية التي تتمثل في رؤيته للعالم وما يجب أن يكون عليه الصعلوك أولا ثم الرجل العربي ثانيا. كما نجد الصورة تتعدى لغيرها عند عروة في تصويره لزوجته التي تتخذ موقفين متناقضين في عذله حيث تعذله على قعوده عن الكسب والخروج للرزق، وتلومه ثانيا وتعذله في الإكثار من الخروج للغزو والكرم الزائد عن الحد، حيث نجد الأول في قوله:[51]

قَالَتْ تُمَاضِرُ، إِذْ رَأَتْ مَالِي خَوَى *** وَجَفَا الأَقَارِبُ فَالفُؤَادُ قَرِيحُ
مَالِي رَأَيْتُكَ فِي النَّدَى مُنَكَّسًا *** وَصبًا كَأَنَّكَ فِي النَّدِيّ نَطِيحُ
المَالُ فِيهِ مَهَابَةٌ وَتَجِلَّةٌ *** وَالفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفَضُوحُ

فهي تلومه على قعوده عن طلب الرزق، ويدلّ على إقذاعها في عذلها له قوله (قالت، منكسا، وصبا، نطيح، خاطر بنفسك، إن القعود مع العيال قبيح) فبعد أن شنّعت له في الوصف وشحذت همته للخروج والغزو تأتي بالحجة والبرهان لتوضح له ما الذي سيؤول إليه حاله بعد ذلك في قوله:

المَالُ فِيهِ مَهَابَةٌ وَتجِلَّةٌ *** وَالفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفَضُوحُ

وهذا القول جاء على لسان الزوجة التي تمثل صورة الضمير الحي في الشاعر الذي هبّ مسرعا لطلب الرزق وجعل ذلك مبررا لخروجه للغزو وركوب المفاوز، وجاء البيت الأخير تصوير للعام بعد الخاص، "فالمقولتان الأساسيتان في عالم عروة الشعري تتمثلان في هذين المحورين: المال فيه مهابة وتجلّة، والفقر فيه مذلة وفضوح. وهما محوران يتصلان بالمستوى الواقعي الاجتماعي لعالمه الشعري، فبالمال يمكن للإنسان أن يحقق ذاته عكس كونه فقيرا"[52].

أما الموقف الذي رأيناه قبل هذا، والذي كانت أم حسان تعذله فيه عن كثرة خروجه للغزو وإسرافه في الكرم، فإنه لا يمثل تناقضا في الصورة، ففي هذا الموقف تجلت صورة المرأة المشفقة على زوجها من الذل والهوان وحياة الفقر، وفي الموقف الآخر (أقلي اللوم) فقد تجلت فيه نفس الصورة حيث الزوجة تخشى على زوجها من إسرافه في الغزو والإغارة والكرم الزائد عن اللزوم.

واجتماعيا قدم عروة صورة العاذلة في أرقى المراتب الاجتماعية؛ فخوفها على زوجها كان في مجالات عدة، اجتماعيا، واقتصاديا، وحتى سياسيا، حين دعته للخروج وطلب الرزق لتحفظ له كرامته، وأشفقت عليه بعدها إشفاق الأم الحنون حين خوفته الموت وتربص الأعداء، فهي لا تحتمل العيش دونه يقول:[53]

أَرَى أُمَّ حَسّانَ الغَدَاةَ تَلُومُنِي *** تُخَوِّفُنِي الأَعْدَاءَ وَالنَّفْسُ أَخْوَفُ

تَقُولُ سُلَيْمَى: لَوْ أَقَمْتَ لَسَرَّنَا *** وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ

لَعَلَّ الذِي خَوَّفْتِنَا مِنْ أَمَامِنَا *** يُصَادِفُ فِي أَهْلِهِ المُتَخَلِّفُ

وفي هذه القصيدة "يعكس ما يعانيه الشاعر، فالمرأة تخوفه الاعداء وهو يعترف أنه اكثر خشية للأعداء مما تعتقد، ويقرر أن الموت لا يفرق بين من يواجه الخطر وبين القاعد"[54].

وهكذا تمثلت الصورة الاجتماعية للعاذلة في شعر عروة بن الورد صورة مستمدة من الواقع الاجتماعي على الرغم من أنا نجدها تمثل رمزا للأنا الأعلى المقابل لأنا الشاعر وهي صوت الضمير فيه؛ تدل على الاضطراب الذي كان يتخبط فيه الشاعر، إلا أن ذاته علت على ذلك واستماتت في السير على الطريق الذي رسمته أنا الشاعر ورؤياه وفلسفته في الحياة.

ويبدو أن العاذلات في شعر الصعاليك اتفقن على عذل أزواجهن على الكرم الذي كان أحد سمات الصعاليك، ويبدو كذلك أن للصعاليك مبررات لذلك الكرم "وهي مبررات تتصل بالذات وبالغير وبالأخلاق وبالمجتمع وبالرؤية الجاهلية للموت والحياة. ويكشف هذا الجدل عن صراع بين الواقع والمثل الأعلى عند البعض من خلال رؤية رحبة شاملة وقد يحدث بينهما نوع من التناقض نتيجة قصور في إدراك العلاقات العميقة، أو بالشعور باستحالة تحقيق هذا المثل الأعلى في الواقع"[55] وهو ما نجده عند تأبط شرا في وصفه

للمرأة العاذلة على الكرم، حين يمزج بين الصوت الذكوري والأنثوي في العذل ليبرر الفارق بين الصورتين؛ يقول في قصيدته يا عيد مالك:[56]

بَلْ مَنْ لِعذَّالَةٍ خَذَّالَةٍ أَشِبٍ *** حَرَّقَ بِاللَّومِ جِلْدِي أَيَّ تِحْرَاقِ
يَقُولُ أَهْلَكْتَ مَالًا لَو قَنِعتَ بِهِ *** مِنْ ثَوبِ صِدْقٍ وَمِن بَزٍّ وَأَعْلَاقِ
عَاذِلَتِي إِنَّ بَعضَ اللَّومِ مَعْنَفَةٌ *** وَهَلْ مَتَاعٌ إِنْ أَبقَيْتُهُ بَاقِ
إِنِّي زَعِيمٌ لَئِنْ لَمْ تَتْرُكِي عَذْلِي *** أَنْ يَسْأَلَ الحَيَّ عَنِّي أَهلُ آفَاقِ
سَدِّد خِلَالَكَ مِن مَالٍ تُجَمِّعُهُ *** حَتَّى تُلَاقِي الذِي كُلُّ امرِئٍ لاَقِ
لَتَقرَعَنَّ عَلَيَّ السنَّ مِن نَدَمٍ *** إِذَا تَذَكَّرتَ يوْمًا بَعضَ أَخلاَقِي
تَا اللهِ آمنُ كُلَّ أُنثَى بَعدَمَا حلَفَتْ *** أَسْمَاءُ بِاللهِ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقِ

والشاعر حين مزج بين الصوت الذكوري والأنثوي إنما كان يريد إزاحة الصورة النمطية للمرأة العاذلة الضعيفة، وحاول أن يجعلها أكثر واقعية، فالمرأة التي تعيش مع الصعلوك عليها أن تعايش الوضع وتساير حياة الصعاليك التي تعتمد على الرجولة ولا تتحمل الضعف الأنثوي "ولذا كان أجدى بهذه العاذلة اتخاذ أسلوب جديد يستند إلى منطق العقل ذي الصيغة الفحولية المنسجمة مع عالم الصعلوك، أملا في إرجاع هذا الصعلوك الثائر إلى منظومة القيم والاعراف السائدة"[57].

ودلالة التحول من صوت إلى آخر توضح صورة الضعف الاجتماعي الذي تعانيه المرأة في عيشها مع الصعلوك إذ تدعوه للعدول عن الكرم الزائد خوفا من فقد المال الذي يكابد الصعلوك في كسبه مصاعب جمة، تلك المصاعب التي كرهتها الزوجة التي تفضل الانسجام الاجتماعي مع القبيلة. و"إن إهلاك المال يمثل في ذهن العاذلة حركية ضد الزمن، في حين تشكل ثقافة البخل التي تدعو إليها العاذلة إشارة إلى السكونية وحالة الخضوع لما هو مألوف وقار؛ ولهذا فإن الشاعر يكشف لعبة القناع الذي يتحول فيه خطاب العذل من صورته الأنثوية إلى صورة الفحولة"[58] وذلك في قوله:

عاذلتي إن بعض اللوم معنفة *** وهل متاع إن أبقيته باق

فهو يؤكد واقعية المرأة اجتماعيا حين تدعوه لما دأب عليه المجتمع؛ وهو جمع المال دون الإخلال به، وتريد منه أن يعيش واقعية المجتمع لا واقعية الصعلكة؛ وهو لا يرضى بذلك ولا يرضى بتعنيفها إياه، ويحيلها إلى رؤيته الوجودية للحياة والتي تبدو أكثر واقعية من رؤيتها. فالمال لا يبقيه البخل، كما أن الصعلوك لا يبقيه قعوده عن الغزو وادخار المال، وهذه إشارة للثنائية الضدية "الحياة والموت"، وفي مقابلها "البخل والكرم".

إن تأبط شرا كغيره من الصعاليك له موقف في الحياة لا تثنيه عليه العاذلة مهما كان سبيلها في العذل، وهو موقف ينسجم ورؤية الصعاليك إلى طبيعة العلاقة مع الجماعة، حيث أن الإصغاء للعاذلة لم يكن تأثرا وغنما وإنما تحببا للطرف الآخر المحب والمشفق على الصعلوك، ولكنه – تأبط شرا– يهدد عاذلته بالانفصال عنها والرحيل إلى حيث لا يعذله أحد، ولتحقيق فوقية ذاته وانتصارها على المجتمع المخذل الذي يتمثل في صورة الزوجة العاذلة.

إن الانفصال عن المرأة عند الصعاليك يبدوا أمرا عظيما جدا، حيث إن الصعلوك قد يهدد المرأة بذلك لعذلها إياه عما يرومه في هذه الحياة، وهو ما صوره تأبط شرا في قوله:

إِنِّي زَعِيمٌ لَئِن لَمْ تَترُكِي عَذْلِي *** أَنْ يَسْأَلَ الحَيَّ عَنِّي أَهْلُ آفَاقِ
سَدِّدْ خِلَالَكَ مِنْ مَالٍ تُجَمِّعُهُ *** حَتَّى تُلَاقِي الذِي كُلُّ امرِئٍ لاَقِ

وهنا "يهدد الشاعر عاذلته بالانفصال الكلي – انفصال مكاني– إن لم تترك النقد والعذل، وهو بهذا التهديد يمكن فرديته من الظهور – إني زعيم– كما يفكك علاقة الانتماء إلى الفكر الجمعي بتحقيق الغياب (أن يسأل الحي عني) مما يجعل القبيلة تعيش لحظة الفقد وهي تبحث دائبة عن هذه الذات المتفردة"[59].

والواقع الاجتماعي للصعاليك لا يقف عند هذا الحد في علاقتهم مع المرأة العاذلة، إذ نجدها تظهر في صورة عكسية، ويصورها الشاعر في خطابه على أنها تتموقع بعذلها إياه مركز القوة الاجتماعي حيث تتحول إلى مهدد بالانفصال عنه إن هو لم يترك ما عذلته فيه. يقول السليك بن السلكة:[60]

أَلَا عتَبَتْ عَلَيَّ فَصَارَمَتْنِي *** وَأَعْجَبَهَا ذَوُو اللَّمَمِ الطِّوَالِ
فَلَا تَصِلِي بِصُعْلُوكٍ نَؤُومٍ *** إِذَا أَمسَى يُعَدُّ مِنَ العِيَالِ
إذا أضحى تفقد منكبيه *** وأبصر لحمه حذر الهزال
وَلَكِنْ كُلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ *** بِنَصِلِ السَّيفِ هَامَاتِ الرِّجَالِ
أَشَابَ الرَّأسُ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ *** أَرَى لِي خَالَةٍ وَسْطَ الرِّحَالِ
يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا *** وَيَعْجَزُ عَنْ تَخَلُّصِهِنَّ مَالِي

وفي هذه الأبيات يقدم الشاعر صورة اجتماعية ثنائية القطب، فحاله هي القطب الأول، وحال عاذلته وصرمها إياه القطب الثاني، وذكر ما يتمتع به من صفات الفحولة التي يعتب بها على عاذلته ومجتمعه القاسي، إذ هو شجاع بطل مجرب صاحب صولات وجولات في الغزو، وذلك رغم هزاله وسواد لونه، وهذا ما زاد من شدة معاناته مع مجتمعه الذي يعيش فيه هو وجميع الصعاليك "على طرفي نقيض، حيث يؤكد علم الاجتماع على الصلة بين الفرد والمجتمع، بحيث يكون عمل الفرد لصالح المجموع؛ كما أنه على الجماعة أن تحتضن الفرد، وأي انتقاص في هذا الميزان التعادلي ينتهي بالفرد إلى أن يكون ضد مجتمعه أو في صراع معه بل يعمل الفرد على تقويض هدوئه"[61]. وفي نص السليك يقدم لنا صورة المرأة العاذلة في بنيتها الاجتماعية القاسية المستمدة من القبيلة، ويرى أن عتابها أضر به إذ تحولت لغيره (وأعجبها ذو اللمم الطوال) في حين كان يجدر بها أن تكون سندا له وسلوة عما يعانيه، ويكون هو فخرا لها وعزا بفروسيته وكرمه، وبعتابها له تبينت تلك الصورة القبيحة من الطبقية التي كانت في المجتمع الجاهلي، وتخليها عنه كان موقفا سلبيا بدت فيه صورة المرأة المبتذلة عند الصعلوك، حيث أقامت ذلك الحاجز الاجتماعي الذي لطالما تمرد عليه الصعاليك وأرادوا هدمه وبناء جسر الاشتراكية مكانه، فالصورة الواقعية تتجلى عند الشاعر كونه لم يتخلى عن موقفه ومبادئه في الحياة، أما واقعية العاذلة فبدت واضحة في صرمها لبعلها كما صرمته القبيلة، فهي واقعية مع الجماعة لا تريد حياة غير واقع أهلها وقبيلتها.

6. خاتمة:

إن الدور الاجتماعي الذي لعبته المرأة العاذلة كان دورا طبيعيا واقعيا يمكن لأي زوجة أن تلعبه في الحياة، فكانت صورة مثالية للزوجة الصالحة اجتماعيا، والتي تراعي ما يناسب الأسرة اجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا باعتبارها بنية دنيا لبنية عليا هي المجتمع أو القبيلة؛ و لم نر تأثيرا كبيرا للمرأة العاذلة - التي مثلت الأنا الأعلى- على الصعلوك وأناه، فقد كان صاحب رؤيا ثابتة وأنا متعالية بفلسفتها في الحياة، وكان يرى أن المرأة العاذلة تمثل حاجزا ومثبطا له عما يرومه في حياة الصعلكة التي فضلها على حياة القبيلة.

وبما أن الصورة التي قدمها الصعاليك كانت مستمدة من المجتمع الجاهلي، فإنها كانت واقعية بمثل ما كانت عليه صورة المرأة عند الشعراء غير الصعاليك، حيث كانت صورة أنثى واقعية حملت أوصاف الأنثى جميعها، ووظيفتها البشرية لا تمت لأي أسطورة أو رمز بصلة، ثم إن المجتمع الجاهلي لم يذكر أنه كانت لديه أساطير يتغنى بها أو يخلدها في شعره. والواقع الذي تم تصويره في أشعار الصعاليك حول المرأة عموما كان واقعا طبيعيا منطقيا لم يحمل أي دلالة تحيل إلى كونه رمزا يتقنع به الشاعر.

هذا ما تبين لنا من خلال اطلاعنا على بعض القصائد التي ذكر فيها الصعاليك المرأة العاذلة، ومن خلال موقفنا من هذا التراث الزاخر بصور المرأة التي تحتاج مزيدا من البحث والتنقيب لتكون دليلا إضافيا على الواقعية في شعرهم.

ويمكن للباحثين التوسع في هذا الموضوع والبحث عن باقي صور المرأة التي قدمها الشعراء الصعاليك وإثبات واقعيتها، كما أنه يمكن تحليل تلك النصوص وما جاء فيها من صور عبر مختلف المناهج النقدية سواء السياقية أو النسقية أو المحايثة.

7. قائمة المراجع:

1) إبراهيم محمود خليل: 1424هـ/2003م، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى.
2) أسماء أبو بكر محمد: 1418هـ/1998م، عروة بن الورد، أمير الصعاليك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
3) أنور عبد الحميد الموسى: 1432هـ/2011م، علم الاجتماع الأدبي (منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
4) حسني عبد الجليل يوسف: 2008، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى.
5) حسني عبد الجليل يوسف: 1409هـ/1989م، العذل في الشعر الجاهلي، مكتبة الآداب، دط.
6) حسين الحاج حسن: 1417هـ/1997م، أدب العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة.
7) حسين عبد الحميد أحمد رشوان: 2005/2004، الأدب والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأدب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الأولى.

8) حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد: 1404هـ/1984م، السليك بن السلكة، أخباره وآثاره، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى.
9) سامان جليل إبراهيم: القراءة المعاصرة لشعر الصعاليك في ضوء المنهج السياقي، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد التاسع، 2013.
10) عبد الحليم حفني: 1987م ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط.
11) عبد الرحمن المصطفاوي: 1427هـ/2006م، ديوان تأبط شرا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
12) عبد الرحمن عبد الحميد علي: د.ت، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، دط.
13) علي أبو زيد: ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول، المجلد 18، 2002.
14) محمد أحمد العامري: صورة المرأة في الشعر الجاهلي وهم الأسطورة أو أسطرة الحقيقة، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، العدد الثاني، المجلد 7، مارس 2004.
15) محمد زكي العشماوي: دت، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، دط.
16) محمد عبد المنعم خفاجي: 1412هـ/1992م، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.
17) محي الدين أبو شقرا: 2005، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى.
18) مصطفى السيوفي: 2008، تاريخ الادب في العصر الجاهلي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى.
19) يوسف خليف: دت، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
20) يوسف شكري فرحات: 2004، ديوان الصعاليك، دار الجيل، بيروت، دط.
21) يوسف عليمات: 2009، النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، على الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الجامعة الهاشمية، الطبعة الأولى.
22) يوسف عليمات: صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 14، 2007، البحرين.

8. الهوامش:

[1] مصطفى السيوفي: تاريخ الادب في العصر الجاهلي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2008، ص11.

[2] نفسه، ص12.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م، ص263.

[4] نفسه، ص267.

[5] محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص22-23.

[6] عبد الحليم حفني : شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1987م، ص378.

[7] أنور عبد الحميد الموسى: علم الاجتماع الأدبي (منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م، ص77.

[8] نفسه، ص81.

[9] إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص69-70.

[10] ينظر عبد الحليم حفني : شعر الصعاليك، ص379.

[11] سامان جليل إبراهيم: القراءة المعاصرة لشعر الصعاليك في ضوء المنهج السياقي، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد التاسع، 2013، ص99.

[12] محيي الدين أبو شقرا: مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2005، ص133.

[13] يوسف شكري فرحات: ديوان الصعاليك، دار الجيل، بيروت، دط، 2004، ص16.

[14] حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الأدب والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأدب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2005/2004، ص139.

[15] عبد الرحمن عبد الحميد علي: تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، دط، 1428هـ/2008م، ص253.

[16] نفسه، ص256.

[17] ينظر عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك، ص329.

[18] يوسف شكري فرحات: ديوان الصعاليك، ص78.

[19] حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2008، ص199.

[20] حسين الحاج حسن: أدب العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1417هـ/1997م، ص76.

[21] مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في العصر الجاهلي ، ص205.

[22] يوسف شكري فرحات: ديوان الصعاليك، ص86.

[23] السابق، ص205.

[24] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، دت، ص283/282.

[25] حسني عبد الجليل يوسف: العذل في الشعر الجاهلي، مكتبة الآداب، دط، 1409هـ/1989م، ص7و9.

[26] يوسف عليمات: النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، على الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الجامعة الهاشمية، الطبعة الأولى، 2009، ص127.

[27] عبد الرحمن المصطفاوي: ديوان تأبط شرا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1427هـ/2006م، ص43.

[28] ينظر حسين عبد الجليل يوسف: العذل في الشعر الجاهلي، ص13.

[29] علي أبو زيد: ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18، العدد الأول، 2002، ص85-86.

[30] يوسف شكري: ديوان الصعاليك، ص81-82.

[31] يوسف عليمات: النسق الثقافي، ص130-131.

[32] يوسف شكري: ديوان الصعاليك، ص81.

[33] السابق، ص70.

[34] السابق، ص100.
[35] حسني عبد الجليل يوسف: العذل في الشعر الجاهلي، ص70.
[36] حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، ص135.
[37] عبد الرحمن المصطفاوي: ديوان تأبط شرا،ص43.
[38] يوسف عليمات: صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 14، 2007، البحرين، ص250.
[39] نفسه، ص251
[40] نفسه، ص252.
[41] حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد : السليك بن السلكة، أخباره وآثاره، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م، ص12-13.
[42] نفسه، ص14.
[43] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، دت، ص283/282.
[44] حسني عبد الجليل يوسف: العذل في الشعر الجاهلي، مكتبة الآداب، دط، 1409هـ/1989م، ص7و9.
[45] يوسف عليمات: النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، على الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الجامعة الهاشمية، الطبعة الأولى، 2009، ص127.
[46] عبد الرحمن المصطفاوي: ديوان تأبط شرا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1427هـ/2006م، ص43.
[47] ينظر حسين عبد الجليل يوسف: العذل في الشعر الجاهلي، ص13.
[48] علي أبو زيد: ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18، العدد الأول، 2002، ص85-86.
[49] يوسف شكري: ديوان الصعاليك، ص81-82.
[50] يوسف عليمات: النسق الثقافي، ص130-131.
[51] يوسف شكري: ديوان الصعاليك، ص81.
[52] السابق، ص70.
[53] السابق، ص100.
[54] حسني عبد الجليل يوسف: العذل في الشعر الجاهلي، ص70.
[55] حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، ص135.
[56] عبد الرحمن المصطفاوي: ديوان تأبط شرا،ص43.
[57] يوسف عليمات: صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 14، 2007، البحرين، ص250.
[58] نفسه، ص251
[59] نفسه، ص252.
[60] حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد : السليك بن السلكة، أخباره وآثاره، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م، ص12-13.
[61] نفسه، ص14.